

فيودور دوستويفسكي: سيرة أدبية وإنسانية ولد فيودور ميخائيلوفيتش دوستويفسكي في 11 نوفمبر 1821 بموسكو في الإمبراطورية الروسية. كانت روسيا آنذاك تمر بمرحلة اجتماعية وسياسية حرج، حيث ساد النظام الإقطاعي وانتشرت الفوارق الطبقة، وعانت البلاد من القمع السياسي والفقر الشديد. كانت روسيا في طور الصراع بين تيارات فكرية متناقضه: بين الغربنة والانغلاق، وبين الليبرالية والدين، وبين الإصلاح والثبات. أثرت هذه الظروف بعمق في فكر دوستويفسكي وأعماله، فكان شاهداً على الآلام والاضطرابات التي تعصف بالمجتمع الروسي، والتي ستحضر لاحقاً بقوة في كتاباته.

ثانياً: الثقافة والتنمية والتكتون العلمي نشأ دوستويفسكي في عائلة متدينة تنتمي إلى الطبقة المتوسطة، وكان والده طبيباً عسكرياً صارماً، بينما كانت والدته أكثر رقة وتقرباً منه. تعلم فيودور القراءة في سن مبكرة، وبدأ في الاطلاع على الأدب الروسي وال العالمي. أرسل إلى معهد الهندسة العسكرية في سانت بطرسبرغ، وتخرج منه مهندساً عسكرياً عام 1843، إلا أن ميله كانت أدبية خالصة، فترك مهنته وتفرغ للكتابة. ثقافة دوستويفسكي كانت مزيجاً من الفكر الديني الأرثوذكسي، والفلسفة الغربية، والأدب الروسي والغربي، ما جعله كاتباً غنياً بالرؤى الوجودية والروحية. تأثر بعمق بأعمال شكسبير، غوته، بلزاك، وديكنز، كما اطلع على أفكار الفلسفة مثل كانط ونيتشه، دون أن يتسم لمدرسة فلسفية واحدة.

ثالثاً: صفات الشخصية وملامح شخصيته تميز دوستويفسكي بشخصية مركبة مليئة بالتناقضات: حساس وعاطفي من جهة، ذو نزعة تحليلية عقلانية من جهة أخرى. كان مهووساً بتحليل النفس البشرية، ويعاني من نوبات صرع منذ شبابه، وهو ما أثر في كتاباته وأضفى عليها عمقاً سيكولوجياً فريداً. عاش حياة صعبة مليئة بالفقر، والمرض، واللاحقة، بل وسُجن وُنفي إلى سيبيريا بسبب انتمائه إلى جماعة فكرية شبابية، حيث قضى أربع سنوات في الأشغال الشاقة، ثم أربع سنوات في الخدمة العسكرية الإلزامية. كان دوستويفسكي إنساناً متديناً رغم شكوكه وتساؤلاته، وقد ظهرت في أعماله صراعات دينية وأخلاقية تعكس معاناته الوجودية. ورغم الحياة القاسية، ظل مؤمناً بالإنسان وبقدراته على الفداء الروحي. بدأ دوستويفسكي مسيرته الأدبية برواية الفقراء (1846)، التي لاقت استحسان النقاد. 1. الجريمة والعذاب (1866): رواية نفسية تدور حول الطالب راسكولنيكوف، الذي يقتل عجوزاً مراهقة ليختبر نظريته حول "الإنسان الفائق". 2. الأبله (1869): تصور شخصية الأمير ميشكين، الذي يجسد البراءة والطيبة في عالم فاسد. 3. الشياطين (الأرواح الشريرة) (1872): تناول فيها الانقسامات الأيديولوجية والانحرافات الثورية.

4. الإخوة كaramazov (1880): ملحمة فلسفية عن الأسرة، والدين، والحرية، والعدالة، وتعد قمة أعماله الفكرية. خامساً: سمات أسلوبه الكاتبي يُعد دوستويفسكي من رواد الأدب النفسي والوجودي. التحليل النفسي العميق: يصور أعمق النسق البشري، وصراعات الخير والشر، والإيمان والشك. الأسلوب الحواري: يستخدم الحوارات الفلسفية الطويلة التي تغوص في قضايا وجودية. الرمزية والدين: تحمل شخصياته دلالات روحية وفكريّة، وتحضر الرموز المسيحية بكثرة. الواقعية الروحية: مزج بين الواقعية والبعد الأخلاقي والميتافيزيقي.

تعدد الأصوات (البوليفونية): بحسب باختين، يتميز دوستويفسكي بإعطاء شخصياته استقلالاً فكريّاً، بحيث تعبّر كل شخصية عن رؤية كونية متكاملة.

سادساً: ملخص لرواية "الجريمة والعذاب" تدور أحداث الرواية حول روبيون راسكولنيكوف، طالب جامعي يعيش فقيراً في مدينة سانت بطرسبرغ. يتبنى راسكولنيكوف فكرة أن بعض البشر يملكون الحق في تخطي القانون إن كانت لديهم رسالة عظيمة. يقتل مراهقة عجوزاً بدم بارد، ويبداً في الانهيار النفسي. تطارده مشاعر الذنب، ويجد نفسه في صراع داخلي بين العقل والأخلاق. تتدخل سوئيا، الفتاة التقية البسيطة، لتكون مرشدته إلى التوبة. في النهاية، يعترف بجريمته، ويُحكم عليه بالنفي إلى سيبيريا، وهناك يبدأ في طريق الخلاص الروحي. الرواية ليست فقط عن الجريمة، بل عن العقاب النفسي، والتوبة، ومعنى الإنسانية.

سابعاً: خاتمة وتقدير شخصي دوستويفسكي ليس فقط روائياً عظيماً، بل هو فيلسوف وجودي وعالم نفس قبل ظهور علم النفس الحديث. إن تجربته الحياتية القاسية، وصرعه، وسجنه، جعلت منه إنساناً يرى ما لا يراه الآخرون. استطاع أن ينفذ إلى أعمق زوايا الروح البشرية، ويصوغ مأساتها في شخصيات معذبة تبحث عن الخلاص. أعماله لا تُقرأ للمتعة فحسب، بل تُقرأ كرحلة روحية وفكريّة. في زماننا، لا يزال دوستويفسكي مرآة للبشرية، وكأن صراعات الإنسان لم تتغير كثيراً منذ قرنين. وربما سر عبريته يكمن في قدرته على أن يكون معاصرًا في كل العصور.